من أمجاد الجزائر

(1962 - 1830)

سلسلة تاريخية ثقافية تصدر عن وزارة المجاهدين

الشهيد

باجي مختار

1954 - 1919

منشورات متحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-13-3
الإيداع القانوني : 2009-5460

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدينة – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيد

باجي مختار

1954 - 1919

بِمُنَاسَبَةِ عُطْلَةِ الرَّبِيعِ، نَظَّمَتْ مَدْرَسَتُنَا زِيَارَةً إِلَى مُتْحَفِ الْمُجَاهِدِ، لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ التَّلَامِيذِ النُّجَبَاءِ، وَكُنْتُ وَاحِدَةً مِنْهُمْ.

فِي الصَّبَاحِ، الْتَقَيْنَا رُفْقَةَ مُعَلِّمَتِنَا أَمَامَ الْمَدْرَسَةِ وَرَكِبْنَا الْحَافِلَةَ، وَسِرْنَا مُحْتَفِينَ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ بِالتَّصْفِيقِ وَالإِنْشَادِ.

عِنْدَ وُصُولِنَا، وَقَفَ التَّلَامِيذُ يَنْظُرُونَ بِإِعْجَابٍ إِلَى ذَلِكَ الْمَبْنَى الْجَمِيلِ الَّذِي وَجَدْنَا مُدِيرَهُ فِي اسْتِقْبَالِنَا. تَبَادَلْنَا التَّحِيَّةَ ثُمَّ دَخَلْنَا الْمُتْحَفَ الَّذِي يَحْتَفِظُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَآثِرِ وَالآثَارِ.

بَدَأْنَا رُفْقَةَ مُعَلِّمَتِنَا نَتَجَوَّلُ فِي قَاعَاتِ الْمُتْحَفِ وَأَرْوِقَتِهِ: فَهَذِهِ بَقَايَا طَائِرَةٍ أَسْقَطَهَا الْمُجَاهِدُونَ، وَهَذِهِ أَلْبِسَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ لِجُنُودِ جَيْشِ

التَّحْرِيرِ، وَتِلْكَ أَعْلاَمٌ خَاطَتْهَا النِّسَاءُ إِبَّانَ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ، وَهُنَاكَ مِنَ الوَسَائِلِ وَالأَدَوَاتِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا المُجَاهِدُونَ أَثْنَاءَ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ ضِدَّ المُسْتَعْمِرِ الفَرَنْسِيِّ.

وَصَلْنَا إِلَى قَاعَةٍ أُخْرَى جُدْرَانُهَا مُزْدَانَةٌ بِصُوَرِ الشُّهَدَاءِ، حَيْثُ وَقَفَ أَنِيسٌ طَوِيلاً، عِنْدَ إِحْدَى الصُّوَرِ، ثُمَّ سَأَلَ المُعَلِّمَةَ: مَنْ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الصُّورَةِ يَا سَيِّدَتِي؟

رَدَّتِ المُعَلِّمَةُ: إِنَّهُ الشَّهِيدُ البَطَلُ مُخْتَار بَاجِي الَّذِي اسْتُشْهِدَ فِي الأَيَّامِ الأُولَى لِلثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ.

اشْتَدَّتْ رَغْبَتُنَا فِي التَّعَرُّفِ أَكْثَرَ عَلَى هَذَا الشَّهِيدِ، فَأَشَارَتْ إِلَيْنَا المُعَلِّمَةُ، بِالتِفَافِ الجَمِيعِ حَوْلَهَا، وَرَاحَتْ تَسْرُدُ عَلَيْنَا قِصَّةَ

حَيَاتِهِ وكِفَاحِهِ ضِدَّ الْمُسْتَعْمِرِ.

قَالَتْ: كَانَ مُخْتَارْ بَاجِي كَمَا وَصَفَهُ رِفَاقُهُ وَكُلُّ مَنْ عَرَفَهُ، أَسْمَرَ الْبَشَرَةِ ضَعِيفَ الْبِنْيَةِ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ وَالْعَيْنَيْنِ؛ وَهُوَ أَصْغَرُ إِخْوَتِهِ السَّبْعَةِ.

وُلِدَ فِي أَفْرِيل 1919 بِمَدِينَةِ عَنَّابَة، مِنْ أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ عُرِفَتْ بِالْعِلْمِ وَالْجَاهِ. كَانَ أَبُوهُ يَشْتَغِلُ بَاشْ عَدْل (مُوَظَّف فِي الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ آنَذَاك). مَاتَتْ أُمُّهُ وَهُوَ فِي سِنِّ الثَّامِنَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِالْيُتْمِ؛ فَقَدْ خَصَّهُ وَالِدُهُ بِالرِّعَايَةِ وَالْحَنَانِ، وَشَمِلَهُ إِخْوَتُهُ بِالْعِنَايَةِ وَالاِهْتِمَامِ.

انْتَقَلَتْ عَائِلَتُهُ إِلَى مَدِينَةِ سُوق اهْرَاس وَاسْتَقَرَّتْ هُنَاكَ، فَتَرَبَّى فِي كَنَفِهَا؛ بِمَا وَفَّرَتْ

لَهُ منَ الاسْتِقْرَارِ وَيُسْرِ العَيْشِ، فَنَضِجَ وَعْيُهُ، وَنَمَا حِسُّهُ الوَطَنِيّ رَغْمَ صِغَرِ سِنِّه.

فِي الوَقْتِ الَّذِي لَمْ تَكُنْ فِيهِ فُرْصَةُ التَّعَلُّمِ مُتَاحَةً لِكُلِّ أَبْنَاءِ الجَزَائِرِ، دَخَلَ مُخْتَار بَاجِي المَدْرَسَةَ الفَرَنْسِيَّةَ الَّتِي أَظْهَرَ فِيهَا ذَكَاءً وَتَفَوُّقًا عَلَى أَقْرَانِه. كَانَ يَقُولُ لِزُمَلَائِه: إِنَّ انْتِصَارَاتِ الجَيْشِ الفَرَنْسِيّ المُدَوَّنَةَ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ هِيَ انْتِصَارَاتٌ زَائِفَةٌ، وَالحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ مُقَاوَمَاتِ المُقْرَانِي وَالحَدَّاد وَالأَمِيرِ عَبْدِ القَادِرِ وَغَيْرِهَا هِيَ المُنْتَصِرَةُ. وَاصَلَ دِرَاسَتَهُ حَتَّى المَرْحَلَةِ المُتَوَسِّطَةِ، وَفِيهَا بَدَأَ يَشْعُرُ بِالمُضَايَقَةِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ (الكُولُونَ) أَيِ المُعَمِّرِينَ، فَانْقَطَعَ عَنِ الدِّرَاسَةِ، وَوَاصَلَ تَكْوِينَهُ فِي مَكْتَبَةِ وَالِدِهِ.

كَانَ الْفَتَى مُخْتَارُ يَتَّقِدُ حَيَوِيَّةً وَذَكَاءً، وَيَرْفُضُ الاسْتِسْلاَمَ لِوَاقِعٍ مَرِيرٍ، فَرَضَهُ الاسْتِعْمَارُ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ الجَزَائِرِيِّين. انْخَرَطَ فِي إِحْدَى الجَمْعِيَّات الرِّيَاضِيَّة بِمَدِينَة سُوق أَهْرَاس، وَاشْتَرَكَ مَعَ أَعْضَاءِ النَّادِي فِي رِيَاضَاتٍ مُخْتَلِفَة؛ كَالقَفْزِ وَالزَّحْف وَالْمُصَارَعَة، وكَأَنَّ القَدَرَ كَانَ يُهَيِّئُهُ لِلعَمَلِ النِّضَالِيّ.

لَمْ يَكْتَفِ الْفَتَى مُخْتَار بِهَذَا فَحَسْبُ، بَلْ إِلَى جَانِب نَشَاطَاتِه فِي النَّوَادِي وَالجَمْعِيَّات، اشْتَغَلَ بِالزِّرَاعَة فِي مَزْرَعَة وَالِده؛ كَمَا اشْتَغَلَ بِالتِّجَارَة. وَمِنْ خِلاَلِ عَمَلِه هَذَا، أَصْبَحَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَنَاطِقَ عِدَّةٍ مِنَ الوَطَنِ فَتَعَرَّفَ عَلَى حَالَة البُؤْسِ وَالحِرْمَانِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُهَا شَعْبُهُ، وَلَمْ تَكُنِ الزِّرَاعَةُ وَلاَ التِّجَارَةُ هَدَفَهُ الأَسْمَى، بَلْ كَانَ يَطْمَحُ وَيَعِدُ نَفْسَهُ بِعَمَلٍ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ أَلاَ

وَهُوَ النِّضَالُ وَالاِسْتِعْدَادُ لِلْكِفَاحِ لِمُوَاجَهَةِ الاسْتِعْمَار.

وَحِينَ بَلَغَ مُخْتَار بَاجِي سنَّ التَّجْنِيد، تَمَلَّصَ مِنَ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَرَى فِيهَا خِيَانَةً لِوَطَنِه. وَقَد اهْتَدَى إِلَى حِيلَةٍ، وَهِيَ اتّبَاعُ حِمْيَةٍ لإِضْعَافِ جِسْمِه إِلَى حَدٍّ لَمْ يَعُدْ فِيه قَادِراً عَلَى الوُقُوف، وَحَصَلَ بِذَلِكَ عَلَى الإِعْفَاءِ مِنِ الْتِزَامَاتِ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّة.

فِي سَنَةِ 1940، انْضَمَّ إِلَى الكَشَّافَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الَّتِي ظَلَّ يَنْشَطُ بِهَا سَبْعَ سَنَوَاتٍ؛ الشَّيْءُ الَّذِي أَكْسَبَهُ خِبْرَةً فِي العَمَلِ التَّنْظِيمِيّ وَالنِّضَالِ السِّيَاسِيّ. كَيْفَ لاَ وَهِيَ المَدْرَسَةُ الأُولَى الَّتِي أَعَدَّتْ جِيلاً مِنَ المُنَاضِلِينَ وَالقَادَة.

سَاعَدَهُ نَشَاطُهُ الكَشْفِيُّ وَخَرجَاتُهُ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الخَرَائِط الجُغْرَافِيَّةِ فِي مَجَالِ التَّعَرُّفِ عَلَى المَسَالِك الجَبَلِيَّة، وكَشْفِ المَوَاقِعِ الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ الَّتِي سَهَّلَتْ مَهَامَّهُ فِيمَا بَعْدُ.

لَمَّا بَلَغَ مُخْتَار بَاجِي مُسْتَوًى مِنَ الوَعْيِ وَالنُّضْجِ السِّيَاسِيِّ، انْضَمَّ إِلَى حِزْبِ الشَّعْبِ، وَظَلَّ يُنَاضِلُ بِه، حَيْثُ تَعَرَّفَ عَلَى مَسْؤُولِي الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّة، الَّذِينَ أَصْبَحُوا مِنْ قَادَةِ الثَّوْرَةِ فِيمَا بَعْدُ؛ مِثْلَ بُوجَمْعَة سُوِيداني ومُرَاد دِيدوش وَغَيْرِهِمَا إِلَى غَايَةِ أَحْدَاث 08 ماي 1945 الَّتِي اضْطَهَدَ فِيهَا الاسْتِعْمَارُ الفَرَنْسِيُّ الجَزَائِرِيِّينَ الذِينَ عَبَّرُوا عَنْ طُمُوحِهِم فِي التَّخَلُّص مِنْ هَيْمَنَتِه؛ حَيْثُ خَرَجُوا فِي مُظَاهَرَاتٍ سِلْمِيَّةٍ يُعَبِّرُونَ فِيهَا عَمَّا كَانُوا يَحْلُمُونَ بِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالانْعِتَاق. وَقَدْ تَرَكَتْ

تلْكَ المَجَازِرُ الرَّهيبَةُ في نَفْسِ مُخْتار باجي حُزْنًا وَألَمًا، وَأدْرَكَ -ككُلِّ الجَزَائِرِيِّينَ- أنَّ هَذَا المُسْتَعْمِرَ الَّذي اغْتَصَبَ الأرْضَ وَحَرَمَ شَعْبَهَا منْ خَيْرَاتِهَا لا يُمْكنُ مُقَاوَمَتُهُ إلاَّ بالسِّلاَحِ وَإخْرَاجُه بالقُوَّة، وَبذَلكَ يَتَخَلَّصُ الشَّعْبُ منِ اسْتغْلاَله وَظُلْمه.

وَعَلَى إثْرِ مَجَازِرِ الثَّامنِ مَاي، وَسَجْنِ العَديد منْ مُنَاضلي حزْبِ الشَّعْبِ المَحْظُور، الْتَحَقَ مُخْتَار بَاجي بحَرَكَة الانْتصَار للحُرِّيَّات الديمُقْرَاطيَّة الَّتي رَشَّحَتْهُ للإشْرَاف عَلَى الانْتخَابَات بسُوق اهْرَاس، فَخَدَمَ الحَرَكَةَ، وَرَوَّجَ لَهَا في الأوْسَاط الشَّعْبيَّة، بمَا كَانَ يَمْتَلكُ منَ القُدْرَة عَلَى النِّقَاش وَالإقْنَاع. انْضَمَّ إلَى المُنَظَّمَة الخَاصَّة، وكُلِّفَ بتَشْكيل أولَى أفْوَاجِ المُنَاضلينَ الَّتي عَملَ عَلَى تَدْريبهَا

عَسْكَرِيّا، وَتَكْوِينهَا سِيَّاسِيّا، وَغَرْسِ مَبَادِئِ الانْضِبَاطِ وَالإِخْلاَصِ وَالأُخُوَّةِ وَسَطَ الْمُنَاضِلِينَ، لِضَمَانِ التَّلاَحُمِ وَالقُوَّة.

ظَلَّ مُخْتَار بَاجِي يُنَاضِلُ فِي سِرِّيَّةٍ حَتَّى سَنَة 1950، حَيْثُ كُشِفَ أَمْرُهُ، فَحَكَمَتْ عَلَيْهِ السُّلُطَاتُ الاسْتِعْمَارِيَّةُ بِالسَّجْنِ لِمُدَّة 5 سَنَوَاتٍ خُفِّفَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى 3 سَنَوَاتٍ قَضَاهَا فِي السِّجْنِ الَّذِي وَاصَلَ بِهِ نِضَالَهُ، فَكَانَ يَقُومُ بِتَقْدِيمِ الدُّرُوسِ وَتَوْعِيَةِ الْمُنَاضِلِينَ الْمَسْجُونِينَ وَتَشْجِيعِهِمْ عَلَى مُوَاصَلَةِ النِّضَالِ السِّيَاسِيّ.

وَفِي عَام 1953، أَطْلَقَ سَرَاحُهُ، فَجَدَّدَ نَشَاطَهُ النِّضَالِيَّ وَوَسَّعَهُ إِلَى خَارِجِ مَدِينَةِ سُوقْ اهراس، مِمَّا أَهَّلَهُ لِحُضُورِ اجْتِمَاعِ لَجْنَةِ الـ 22 الشَّهِيرَة.

وَلَـمَّـا حَلَّ عَـامُ 1954، وَجَـاءَ الـيَـوْمُ المَوْعُـودُ، يَوْمُ الفَاتِحِ مِنْ نُـوفَـمْبَرَ الَّذي شَهِدَ انْطِلاَقَ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّة فِي كَامِلِ التُّرَابِ الـوَطَـنِيِّ، احْـتَـضَـنَـهَـا مُـخْـتَـار بَاجِي كَكُلِّ الجَـزَائِـرِيِّـينَ. وكَـانَ مِنْ أَبْـرَز قَـادَةِ المَـنْـطِـقَـةِ الثَّانِيَة، إِذْ قَادَ فَوْجًا مِنَ المُنَاضِلِينَ، تَوَجَّهَ بِهِ إِلَى مَزْرَعَـةِ أَحَدِ السُّكَّانِ فِي نَـاحِيَـةِ "مَجَازِ الصَّفَا"، حَيْثُ هَاجَمَتْهُمْ قُوَّاتُ العَدُوِّ، عَلَى إِثْرِ وِشَايَةٍ مِنْ أَحَدِ الخَوَنَة؛ فَحَدَثَ اشْتِبَاكٌ دَامَ يَوْمًـا كَـامِلاً أَظْـهَـرَ فِـيهِ مُـخْـتَـار بَاجِي شَجَاعَةً وَصُمُوداً نَادِرَيْنِ.

وَفِي هَـذِهِ المَـعْـرَكَـةِ الَّـتِي أَبْلَى فِـيـهَـا بَلاَءً حَسَنًا، اسْتُشْهِدَ هُوَ وَبَعْضٌ مِنْ رِفَاقِهِ فِي مَيْدَانِ الـشَّـرَف. وكَـانَ ذَلِكَ يَـوْمَ 18 نُـوفَـمْـبَـرَ 1954، حَيْثُ لَمْ يَنْجُ فِيهَا إِلاَّ اثْنَانِ مِنْ رِفَاقِهِ.

بَعْدَ انْتِهَاءِ المَعْرَكَة، وَقَفَ قَائِدُ قُوَّات العَدُوِّ عَلَى جُثْمَانِ الشَّهِيدِ مُخْتَار بَاجِي وَحَيَّاهُ تَحِيَّةً عَسْكَرِيَّةً اعْتِرَافًا بِشَجَاعَتِهِ وَصُمُودِهِ.

هَكَذَا اسْتُشْهِدَ مُخْتَارْ بَاجِي وَبِاسْتِشْهَادِهِ خَسِرَتِ الثَّوْرَةُ فِي شَهْرِهَا الأَوَّلِ سِيَاسِيًّا مُحَنَّكًا، وَقَائِداً ذَكِيًّا، وَمُنَاضِلاً فَذًّا؛ بَارَكَتْهُ العِنَايَةُ الإِلَهِيَّةُ وَصَنَعَتْهُ ظُرُوفٌ وَأَحْدَاثٌ، فَوَهَبَ رُوحَهُ وَمَالَهُ لِوَطَنِهِ. مَاتَ عَظِيمًا، وَسَجَّلَ لَهُ التَّارِيخُ مَوَاقِفَ العُظَمَاءِ.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار